كواليس

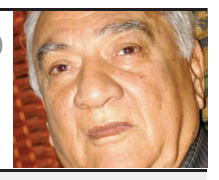

■ سامي عبد الحميد

المسرح والحياة

لـو تكن مضامين المسرحيات في العهود القديمة قريبة من واقع الحياة بـل عاشت في خيـالات كتابهـا ومتلقيها ثم أخـذت بالتـدريم مع تقدم الزمـن تقترب مـن الواقع حتى التصقـت به في أواسط القـرن التاسع عشر عند ظهور الاتجاه الواقعي بتأثيرات الثورة الصناعية واختراع الآلـة التجارية والتحرر مـن الحياة الريفيـة إلى الحياة الحضرية في المدينـة وعندما أخذت الطبقـة العاملة تتجمع في أماكـن سكنية قريبة من معامل الإنتاج الواسع وبعدما تعقدت الحياة وتركبت العلاقات بين البشر وبين العمال وأصحاب العمل وأصبحت المسرحيات تعكس واقع الحياة ومشاكلهـا وصارت مرآة للمجتمع الـذي تعيش فيه بشخوصه وأحداثه وعلاقات أبنائه وهمومهم وتطلعاتهم نحو حياة أفضل.

اليوم تستطيـع أن تعرف طبيعة أي مجتمع وسلوك أبنائه وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من خلال المسرحيات التي يكتبها كتـاب ذلك المجتمع وأحيانا يتجاوز أولئك الكتاب إلى الكشف عن واقع مجتمعـات أخـرى سمعوا أو قـرأوا عنها، ولكن في الغالـب يهتم كتاب الدراما الواقعيون والرمزيون والتعبيريون وغيرهم بواقع المجتمعات التـي يعيشون فيهـا ، فالروسي (جيكوف) عكس في مسرحياته حياة الطبقـة البرجوازية وتطلعاتهـا، وكتب الألماني (هوبتمـان) مسرحية تعكس الصـراع بـين العمـال وصاحـب المصنـع وذلـك في مسرحيته الطبيعية المشهورة (النساجـون) وراح الكاتب الايطالي (بيراندیلو) يكشف الوجـه والقناع لكل شخصية يتناولهـا في مسرحياته. وكشف الأميركـي (يوجـين أونيـل) بصـدق الفـوارق الطبقيـة والتمييـز في المجتمع الأميركي في زمن مضى. وفي الزمن الحاضر كتبت الأميركية (ميغـان تيري) مسرحيتها (فيت روك) تنتقـد فيها استمرار الحرب في فيتنـام وما تجره من ويلات علـى المجتمع الأميركي. وفي العراق كتب (فلاح شاكر) عددا من المسرحيات يدين فيها الحرب ويكشف عن آثارها السلبيـة علـى ابناء الشعـب. وهكـذا لا يكتفي المسرح بعرض الواقع الحياتـي بل يتجاوز ذلك الى نقد ذلك الواقـع والتلميح بالبدائل. وكان الألمـاني (برتولـد بريخـت) من ابـرز الناقديـن للأوضـاع الاجتماعية والسياسيـة الاقتصادية ، وخصوصـا في المجتمع الرأسمالي وتحيلك معظم مسرحياته الى البدائل الافضل في الحياة . والمسرح الذي يخلو مـن نقد ما هو سلبي في الحكم او في اية ظاهرة سياسية او اجتماعية او اقتصاديـة ، يخـرج عـن أصالته وشعبيتـه ورسالتـه ويتحول الى مجـرد تسلية عابرة. نعم المسرح مرآة المجتمع، والمجتمع يريد الحياة، يريـد تجديدها، والمسرح هو الحيـاة ولكن بصـور مختصرة محددة في مـكان محـدد وزمان محدد، ولكن المسرح هذا قـد يوحي بالشمولية وبالعمومية، فعندما يتنـاول مشكلة تخص مجتمع الكاتب الدرامي قد تجـد لتلك المشكلة مثيـلات في مجتمعات أخرى ، طالما أن الإنسان وهو الكائـن الحي وهـو مكان الدراما، قد يتعرضـ إلى مشكلات مشابهة أو متقاربـة، وهكذا نجد مثل تلك الشمولية في مسرح شكسبير، وهذا هو السر في أن المسرحيـين في كل مكان وزمان يرجعـون إلى مسرحياته ويقدمونهـا علـى خشبـات مسارحهم وربمـا برؤاهم الخاصـة ، حيث أن تلـك المسرحيات تعكس حياة الإنسـان في كل زمان ومكان. ويكوّن العاملـون في الحقـل المسرحـي مجتمعا تعاونيـا مصغرا يمـر أفراده بحياة قد تختلف بدرجـة أو بأخرى عن حياتهم الخاصة وربما تقترب كثيراً منها. وهكذا كانت الحياة وما زالت المصدر الأساسي الذي يرجع إليـه كتّاب الدرامـا في جميع أنحـاء العلم وكانت الحيـاة هي الأخرى مصـدراً لأشكال المسرحيات وتنوعها، فشكل المسرحية الواقعية يعتمد علـى معطيات الواقـع وصورته. وشكل المسرحيـات التعبيرية مأخوذ مـن شـكل الصـورة الحلمية التـي تكشف عـن مخزونـات اللاشعور. وشـكل المسرح الملحمي اعتمـد أساسا على شكل الشعـر الملحمي الذي هو نتاج واقع معين . وشكل مسرح اللامعقول ليس إلا صورة مصغرة للامعقولية الحياة في الكثير من الحالات والأحيان.

(نادي المسرح في بابل) أنموذجاً

دور الجماعات المسرحية في المسرح العراقي

بشار عليوي

صلاح القصب في نادي المسرح

يُعد تشكيل الجماعات المسرحية، ظاهرة صحية تتصف بالفاعلية الإنتاجية والمعرفية لناحية دورها الواضح في تفعيل حركة مسرحنا العراقي، وهو ما أبرزتـهُ التجارب ذات الصلة حيثُ يُمكن القول أن تنشيط هذهِ الجماعات الموجودة على الساحة وتشكيل جماعات جديدة، باتا حاجة ماسة وضرورية من أجل النهوض بواقع المسرح في العراق اعتماداً على الطاقات المسرحية الواعدة التي يكتنز بها هذا المسرح ، فضلاً عن أهمية الدور المُستقل للجماعة المسرحية في بلـورة خطابها المعـرفي والجمالي بعيداً عن أية موجهات إيديولوجية يُمكن أن تتحكم بعمل الجماعة ونشاطها . إن تشكيل الجماعة المسرحية دائماً ما يرتبط بوجود ضرورة لتغيير السائد والمألوف من الأنمـاط المسرحية المُقدمة ، أو تبني خطاب معرفي مُغاير لمُجمل الخطابات المطروحة وبالتالي فإن الذوات المؤسسين يرون أن الوقت قد حان للتجديد، وغالباً مـا تعتمد الجماعـة عند تأسيسها على إطلاق بيان جمالي ومعرفي تُحدد فيه أهم المُنطلقات التي ستُحدد آلية عمل الجماعة وهي بذلك تختلف عن (الفرقة المسرحية) التي تعتمد في عملها على وجـود نظام داخلي وهيئة عامة وأخرى إدارية وهي أقرب إلى مُنظمات المُجتمع المدني . وخلال مسيرة مسرحنا العراقي يطالعنا عدد من التجارب المهمة لجماعات مسرحية عراقية خلخلت النسق المسرحي التقليدي وعملت جاهدة على تكريس خطاب مسرحي ينشد الجمالي والفكري على حد سواء، من خلال مُجمل طروحاتها النظرية والتطبيقية، ففي الديوانية تأسست (جماعة الديوانية للتمثيل الصامت) لمؤسسها ومُديرها الفنان مُنعم سعيد، حيثُ كرست هذهِ الجماعة خطاباً مسرحياً يحتفي بالجسدَ عبرَ سلسلة طويلة من الأعمال المسرحية الصامتة كان آخرها (شواطئ الجنوح)، وما زالت الجماعة فاعلة حاضرة وبقوة داخـل المشهد المسرحي العـراقي، ومن الجماعات المسرحية العراقية الأخرى، تـبرز لـنا التـجربـة الـثرة لـ(جماعة الناصرية للتمثيل) في مدينة الناصرية لمؤسسها ومُديرها الفنان والناقد ياسر البراك، وسعيها الجاد والحقيقي لترصين واقع المسرح العراقي (الذي من التعسف حصره بمسرح العاصمة لوحدها) ففي الوقت الذي كانت فيه كُبرى هيئات المسرح في العراق مُمثلةً بدائرة السينما والمسرح ببغداد وكُليات الفنون، عاجزة تماماً عن النهوض بدورها الحقيقي في هذا المجال ، نجد هذهِ الجماعة المُتكونة من ثُلة طيبة من شبابَ المسرح العراقي البعيدين عن صخب العاصمة وأضوائها الخادعة تقوم بجهد نبيل عبرَ إصدارها مطبوعاً ومن جيبها الخاص ، سيظل علامةً مُشرفة في تأريخ المسرح العراقي ونقصد بهِ مجلة (المشهد) التي صدرت صيف عام ٢٠٠٠ حيثُ صدرَ منها ٩ أعداد قبل أن تُوقفها مديرية الأمن في عهد النظام السابق بعد اعتقال رئيس تحريرها الفنان (ياسر عبد الصاحب البراك)، وقد كانت على مستوى رصين جداً لناحية نفعية المقالات والدراسات النقدية وأخبار المسرح العراقي عموماً ، علاوة على تبشيرها بمشروع الجماعة المعرفي والذي أسمتهُ (المسرح الإسقاطي) مُقرنة بذلك الفعل التطبيقي بالجهد التنظيري. وفي بابل انبرى قبل سنة عدد من مسرحييها وهُم كُل من (بشار عليوي – مؤسساً ورئيساً، عامر صباح المرزوك – نائباً للرئيس، ثائر هادي جبارة و حسن الغبيني – أعضاءً) لتأسيس (نادي المسرح في بابل) كجماعة مسرحية مُستقلة تعمل جاهدة من أجل ابتكار الجديد وصُنع الحديث، وكوجه ثقافي يُعبر عن الإبداع البابلي المتأتي من اجتهاد مسرحييها فقد تميزت بابل بمُنجزها المسرحي ومـازالـت. وبعد أن خطى النـادي خطوات جادة باتجاه تكريس ثقافة مسرحية تحتفي بنتاج المسرحيين في العراق بشكل عام وفي بابل بشكل خاص وتُفعل حركة المسرح فيها وانطلاقاً من بيانه التأسيسي انفتح النـادي على الجميع مَن دون استثناء فهو منهم وإليهم ، دون وجود لأي موانع صنمية أو مُسميات كلائشية أو ألقاب مجانـية، حيث يسعى النـادي جاهداً إلى تأسيس ثقافة مسرحية جديدة عبر الاحتفاء بجميع النتاجات المسرحية والأفكـار والـرؤى الجديـدة، وتسليط الضوء على كل جهد مسرحي نبيل، من خـلال إقـامـة الجلسات النقدية بعد كُل عرض مسرحي يُقام في بـابـل، وإلقاء محاضرات للباحثين والنقاد والمخرجين المسرحيين واستضافة مبدعي المسرح. كما يهدف النادي المسرح إلى التواصل مع المـواهـب المسرحية الشـابـة وخلق فرص نهوض حقيقية لمسرح بابل الغائب منذ فـترة طويلة وبـذلك أصبح النادي (بشهادة المُتابعين لهُ) الحاضنة الرئيسة والـواجـهـة الحقيقية للمسرح البابلي وللمُشتغلين فيه. لقد شارك النـادي في "المهرجان الدولي الثاني لمسرح الشارع" العام الماضي في مدينة دربنديخان/ إقليم كُردستان، بمسرحية (الولوج من الباب الضيق) تأليف وإخـراج الفنان د. أحمد محمد عبد الأمـير. وتمثلت الخطوات الأولى لهذا النادي بإقامة الحلقة الدراسية الخاصة بالمسرح البابلي والتي تضمنت خمسة محاور، وكذلك الاحتفاء بثلاثة من رواد المسرح البابلي، وإقامة جلسة نقدية حول النصوص المسرحية للكاتب سلام حربة. عمدَ النادي إلى أن يُتوج فعالياته بتضييف "مُخلل" أركـان مسرحنا العراقي، المُخرج المسرحي العراقي الكبير الفنان الدكتـور صلاح القصب ولأول مرة في محافظة بابل. كما احتفى النادي برسائل جامعية مسرحية، واستضاف النـادي المُخرج المسرحي العراقي كاظم النصار على قاعة كلية الفنون الجميلة في بابل وعرض مُقتطفات من مسرحيته (نسـاء في الحـرب)، وشـارك الناقد المسرحي د. محمد أبـو خضير بقراءة سيسيولوجية لهذا العرض، مؤكداً وجود شعرية عالية في النص وفي الإخـراج . أما الناقد د. حيدر جواد العميدي ، فقرأ ورقة نقدية تعنونت بـ(قراءة سيميائية لعرض "نساء في الحرب"). ثُم تحدث النصار عن تجربته ومشروعه المسرحي الذي دعاهُ بـ(مسرحَ الحرب). ومن أجل تفعيل النتاج النقدي المُحايث للعروض المسرحية الذي يوازيها في الأهمية، نظمَ النادي حلقة نقدية خُصصت لمناقشة ثلاثة عروض مسرحية بابلية هي (الإمبراطور جونز عربيـاً) إخـراج أمـير هُشـام ، و(كشكول حضـاري) إخـراج عباس رهك، و (مواطن) إخراج د. عبد الوهاب الخطيب وجميعها من إنتاج قسم الفنون المسرحية في كلية الفنون الجميلة – بابل حيث تأتي إقامة هذه الحلقة تطبيقاً لنهج نادي المسرح في بابل المُتمثل بالاحتفاء بالنتاج المسرحي البابلي وإشاعة الثقافة المسرحية وشارك الناقد المسرحي د . محمد أبو خضير بورقة نقدية عن عرض (كشكوك حضاري) وشارك الناقد د. حيدر جـواد العميدي بورقة نقدية عن عرض (الإمبراطور جونز عربياً) وكذلك الفنان حسن الغبيني، بورقة نقدية عن عرض (مواطن)، ثم نظمَ النادي احتفالية كُبرى بمناسبة يوم المسرح العالمي لعام ٢٠١٢ على قاعة مُديرية النشاط المدرسي في الحلـة ، وسـط حضـور كبير مـن قبل مسرحيي ومثقفي بابل وعدد من أساتذة كلية الفنون فيها، حيثُ شهدت الاحتفالية افتتاح معرض النتاج المسرحي البابلي والـذي أعـدهُ الفنان ثائر هـادي جبارة ، متضمناً عرض صور فوتوغرافية توثق أنشطة النادي، والجوائز المسرحية التي حصل عليها مسرحيو بابل في المهرجانات المسرحية العراقية في تقليد مسرحي يشهدهُ المسرح في بابل لأول مرة، وكرمَ النـادي المؤلفين المسرحيين البابليين الذين صدرت لهم إصدارات مسرحية احتفاءً بنتاجهم الكتابي المسرحي كما تم تكريم الفنانين البابليين الحاصلين على جوائز مسرحية في المهرجانات المسرحية العراقية واعتزازاً بتواصلهم الواضح دون انقطاع مع الحركة المسرحية في بـابـل، وكـرم الـنـادي عـددا مـن الفنانين المسرحيين البابليين الفاعلين في المسرح البابلي، وشهدت الاحتفالية منح الفنان المسرحي د. أحـمـد محـمـد عبـد الأمـير، درع نادي المسرح في بابل تقديراً لمُنجزه المسرحي الثر وكان آخر نشاط للنادي إقامته لحفل توقيع كتاب (جدلية الرحلة وتناصاتها في النص المسرحي) للكاتبة المسرحية "زينة الشبيبي" بوصفها أول كاتبة مسرحية بابلية يصدر لها كتاب نقدي مسرحي وبالتالي فإن هذا المُنجز يعتبر إضـافـة نـوعـيـة للمشهد الثقافي البابلي عامة والمسرحي بشكل خاص .

توهج الذاكرة

قاسم محمد وديناميكية التاريخ والتراث

د فاضل سوداني

الممثلون العراقيون في طبيعتهم يعملون دائماً لبناء الشخصية الشعبية العراقية في عموم عروضهم في المسرح العراقي. وقد تميزت تلك الشخصيات الشعبية التي لا يمكن لمن شاهدها أن ينساها كما هو الحال في شخصيات النخلة والجيران للروائي غائب طعمه فرمان وإخراج قاسم محمد، والشخصيات العديدة التي خلقها ممثلون آخـرون، مثل خليل الرفاعي والفنانة زينب وناهدة الرماح أو زكية خليفة وآزودوهي صموئيل وفاضل خليل وغيرهـم من الشخصيات الـذين كانت عراقيتهم النقية هي التي خلقت أصالتها. ولا يمكن للممثل عموما أن يكون فنانا شعبيا ما لم يمتلك ذلك الغنى الروحي والفكري حتى تمتلئ ذاكرته بتلك الصور والأحداث الشعبية المتميزة التي يستطيع استحضارها وقتما يشاء عن طريق ذاكرة المشاعر والأحاسيس التي اكتشفها المعلم والمربي الكبير ستانسلافسكي لمساعدة الممثل في خلق الشخصية التي يبدعها على المسرح.

كل هـذا كـان حـاضـراً في ذاكـرة الفنان القدير قاسم محمد، لهذا فإنه ركز جهوده منذ بداياته التأليفية والإخراجية الأولى في خلق مسرح شعبي تـراثـي، مسرح يعالج مشكلات الوجود التحتي للناس وطبقاتهم المسحوقة وكانت رائعته الأولى هي مسرحية النخلة والجيران.

وبـعـدهـا تـوجـه لـلاغـتـراف مـن الـتـراث والملاحـم والأسـاطـير الـعـربـيـة القديمة وحكايات ألف ليلة وليلة، وربطها بمفهوم برشت الملحمي وكذلك المسرح المفتوح، وعلـى هـذا الأسـاس فـانـه كـتـب واخـرج الكثير من المسرحيات أهمها: بغداد الأزل، شخوص وأحداث من مجالس التراث، كان ياما كان، رسالة الطير، مقامات الحريري، المسوسون، سـوق الحكايات،الحلاج وغـيـرهـا، ومـن خـلال هـاجـس إبـداعـي ومسؤولية ثقافية واجتماعية استطاع الفـنـان قـاسـم محـمـد أن يخلق مسرحه الـتـراثـي المتميز مـن خـلال وعـي خاص يكمن في أهمية الانتقاء من التراث ودمجه بالوعي المعاصر، وهذه الانتقائية هي التي تخلق التواصل مع تراث الآخر أي تراث ومكتشفات المسرح العالمي المعاصر وهذا يحقق مبدأ الهجنه التي تحتم استخدام ذلك الـتـراث المتنور الذي من خلاله يكون من السهل التواصل مع التراث العالمي .

ففي مسرحية "كان ياما كان" حـاول استغلال التراث من اجل أن ينعكس على الحياة المعاصرة. وقد استخدم المؤلف "جو" المقهى البـغـدادي الـقـديم كشكل للعرض.

ويـلـعـب الحـكـواتـي دوراً أسـاسـيـاً في مسرحيات قاسم محمد ، ولهذا فان الممثل لديه حكواتي أو قصخون يسرد ويتدخل ويعلق على الأحداث.

استخدم قاسم محمد فضاء السوق العربي الـقـديم عـلـى الخـشـبـة كوسـيـلـة جديدة لإغناء المسرح المعاصر، فالسوق بفضائه الديناميكي الـغـريـب وصخبه الشرقي المتميز يغني العرض المسرحي.

وقـد حـقـق فكرته هـذه مـن خـلال كتابته لمسرحية "بغداد الازل بين الجد والهزل" الـتـي اسـتـخـدم فـيـهـا حـكـايـات ونـوادر وقصائد من التراث وأشخاصها تتصارع في السوق البغدادي الشرقي المثير، وقد خلق المخـرج من كل هذا شكلا مسرحيا دراميا مشوقا يخدم العرض المسرحي الشعبي. ودائـمـا هنالك لـتـأثـيـر المخرج الروسي فاختانجوف وخاصة في المزج بـين الـواقـع الافـتـراضـي والفانتازيا مما يخلق حيوية للعرض المسرحي.

ويـتـعـامـل قـاسـم محـمـد مـع الجـمـهـور كمشاركين وليس مشاهدين في اللعبة المسرحية الـتـي يمكن أن يساهموا في مناقشتها والتفكير بها أثناء لحظة العرض، وقد عمد قاسم محمد في السنوات الأخيرة على تكثيف الحركة والتخلص من الفائض واعتماد جسد الممثل وقدراته التعبيرية كلغة للتعبير.

مسرحية الشريعة لقاسم محمد

تجارب إبداعية محدثة في المسرح العراقي

المدى الثقافي

هو عنوان الكتاب النقدي الصادر حديثاً عن دار سردم للطباعة والنشر في السليمانية للكاتب والناقد المسرحي العراقي المغترب (صباح الأنباري)، والكتاب يقع في ٢٠٧ صفحات، من الحجم المتوسط، وهو قراءة نقدية لتجارب إبداعية مُحدثة في المسرح العـراقي، وعـن كتابـه يـقـول الأنـبـاري: إن مشروعه النقدي المسرحي المفتوح هـو محـاولـة لـربـط شقي المسرح نظريا وتطبيقيا وبثلاثة فصول. تضمن الكتاب ثلاثة فصول، فصل المقروء وتناول فيه الانباري نصوصا مسرحية متميزة لكتاب عراقيين متميزين كعادل كاظم ومحيي الدين زنكنه وجليل القيسي وحازم كمال الدين وقاسم مطرود وكريم جثير، حيث جـاء الفصل مبوب على شكل دراسات منفصلة، وفي الفصل الثاني الذي تعنون بـ(المقروء والمنظور) تـنـاول الانباري فيه مسرحيتين هما (للروح نوافذ أخرى) تأليف قاسم مطرود وإخراج احمد حسن موسى، و(العلبة الحجرية) لمحيي الدين زنكنه مؤلفاً، وفتحي زين العابدين مخرجاً، أما الفصل الثالث (المنظور) فقد خصصه الانباري للعروض المسرحية تحديداً من خلال الاشتغال على بنية الصورة الدرامية بشكل عـام، حيث نـقـرأ مـقـاربـة نقدية لعروض طلعت السماوي وجواد الاسدي وكاظم النصار وكريم جثير.